شرح كتاب (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) لأبي عثمان الصابوني-رحمه الله.

شرح فضيلة الشيخ

أ.د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (١٧)

ندرس في هذا الدرس:

١. مسألة الهدى والضلال

١. [مسألة الهدى والضلال]

قال أبو عثمان الصابوني - رحمه الله:

(ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء لدينه، ويضل من يشاء عنه، لا حجة لمن أضله الله عليه، ولا عذر له لديه، قال الله عز وجل: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنعام:١٤٩]، وقال: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي} [السجدة:١٣] الآية، وقال: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ} [الأعراف:١٧٩] الآية).

مسألة الهداية والإضلال من الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء بسابق علمه وحكمته {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}، وقد جاء في الحديث: ((أن الله قبض قبضة فقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وقبض قبضة فقال: هؤلاء في النار ولا أبالي))، فالله سبحانه وتعالى بسابق علمه وحكمته، قد هدى وأضل، ولكن الله تعالى غيّب عنا ذلك، ولهذا استدرك الشيخ رحمه الله، قال:

(لا حجة لمن أضله الله عليه) يعني لا حجة له على الله.

(ولا عذر له لديه) وهذه فائدة مهمة ينبغي أن يكون طالب العلم على إحاطة بها، لأن المنازعين في باب القدر؛ يشبهون بهذه المسألة، فيقول قائلهم: أليس الله هو الذي كتب عليه الغواية فكيف يؤاخذه عليها؟ أليس الله هو الذي كتب عليه ترك الطاعات وفعل المحرمات، فكيف يؤاخذه عليها؟

فالسؤال الآن: هل في الإيمان بالقدر حجة للعبد على فعل المحرمات وترك الطاعات؟

هل يستطيع أن يحتج بقدر الله السابق على فعل المحرمات وترك الطاعات؟

نقول أبدًا، لا حجة له في ذلك، لا يتم له الاحتجاج بهذا، نعم نحن نعلم قطعًا أن الله تعالى هدى وأضل بسابق علمه، وعلم من سيطيعه ومن سيعصيه، لكن هذا العاصي، لا يمكن أن يتم له الاحتجاج بالقدر على فعله للمعاصي وتركه للطاعات من وجوه كثيرة بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة والنظر الصحيح.

فمن أدلة الكتاب: ما أشار الشيخ إليه في قوله: **{قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}**، ولابد أن نقرأ الآية قبلها قال الله سبحانه وتعالى: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ} أليست هذه الشبهة هي عين ما يحتج به المبطل، الذي إذا قلت له: صلي يا فلان، قال: ما كتب الله له الصلاة، زكي يا فلان، قال: والله ما كتب الله له أن يخرج زكاة ماله، إلى غير ذلك؛ هي تماما بمعناه وفحواه ذات الحجة التي احتج بها المشركون {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ} فرد الله عليهم في الآية بثلاثة ردود حجة بالغة.

أما الرد الأول: فقد قال الله عز وجل: {كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم} فسمى الله تعالى حجتهم كذبًا.

الرد الثاني: قال: {حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا} ولو كان لهم حجة في الاحتجاج بالقدر، لم يكن الله ليذيقهم بأسه، لأن الله حكم عدل مقسط لا يظلم مثقال ذرة.

الرد الثالث عليهم: أن قال الله سبحانه: {قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا} أي هل اطلعتم على كتابكم فعلمتم أنه قد كتب عليكم أنكم من أهل الشقاوة وأنكم تشركون وتحرمون ما أحل الله، وتحلون ما حرم الله؟ هل اطلعتم على ذلك حينما اقترفتم هذه الأفعال؟ والجواب أن لا، من ذا الذي يستطيع أن يزعم أنه اطلع على

هذه المادة لم تراجع على الشيخ . حفظه الله .

كتابه في اللوح المحفوظ، لذا قال الله عز وجل: {إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ} أي أن تقحمكم هذه المعاصي وترككم للإيمان هو مجرد ظن وتخمين وتخرص، لا يقوم على أساس من العلم، ثم أعقب الله ذل بقوله: {قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} فألقمهم الرد، وأغلق عليهم الاحتجاج بالقدر، على فعل المعاصي وترك الطاعات.

وحقيقة القدر: سر الله المكتوم، مغيب عنا، لا أحد يعلم ما قد قضى الله تعالى عليه، أخفى الله عنا القدر، وأظهر لنا الشرع ، وأمرنا بطاعته، ونهانا عن معصيته، ووعدنا وهو الصادق الوعد؛ أن من أطاعه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار، والله سبحانه وتعالى لا يظلم مثقال ذرة.

الدليل الثاني: في قول الله سبحانه وتعالى: {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} إذن الحجة الوحيدة المقبولة عند الله عز وجل التي يسوغ أن يحتج بها هؤلاء هي فقط: عدم إرسال الرسل أن يقولوا: {مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ} فأبطلها الله تعالى بإرسال الرسل، فلو كان في القدر حجة لذكرها الله، فلم يذكر الله تعالى حجة يمكن أن يحتج بها هؤلاء إلا حجة واحدة، وهي إرسال الرسل فقال الله تعالى: {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} إذن فيكون بذلك قد بطل استدلالهم بالقدر بهذه الآية.

الدليل الثالث: قول الله عز وجل: {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ} فقال الله سبحانه وتعالى: ((قد فعلت)) فلما أن وجدت موانع التكليف أسقط الله سبحانه وتعالى آثار ترك الطاعات أو فعل المعاصي في حق العبد، فمن لم يكن مكلفا أي: بالغًا عاقلًا عنده الأهلية، بل كان مثلًا: ناسيًا غير ذاكر، جاهلًا غير عالم، مكرهًا غير مختار؛ فإن الله تعالى لا يؤاخذه بشيء.

وبهذا يتبين أن الاحتجاج بالقدر لا يتم، وإنما يكون العذر لمن قام به مانع من موانع التكليف، فيقبل الله حينئذ معذرته، قال نبينا صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما حدثتهم به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم)).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ . حفظه الله .

الدليل الرابع: من السنة؛ ففي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في جنازة فقال لأصحابه: ((ما منكم من أحد إلا وقد كتب من الجنة ومقعده من النار))، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: ((لا أعملوا، فكل ميسر))، وفي رواية: ((فكل ميسر لما خلق له، فأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم تلى قول الله عز وجل: {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى})).

فلو كان في الاعتماد على القدر السابق حجة في فعل المعاصي وترك المنكرات، لوسع النبي صلى الله عليه وسلم على أمته، ولا ريب أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، ولقال لهم نعم، اتكلوا على كتابكم، ودعوا العمل لأن الأمر قد قضي، وقد فرغ الله من خلقه، لكنه صلى الله عليه وسلم، مع شدة شفقته ورحمته ورأفته بالمؤمنين قال: ((لا اعملوا فكلا ميسر)) إلى آخر الحديث.

من الناحية النظرية: نقول أنه لا حجة لهؤلاء بالقدر لأنهم لا يعتمدون هذه الحجة المزعومة في أمورهم الدنيوية المعاشية، فلو قيل لأحدهم أقعد في بيتك فإن كان الله قسم لك رزق فسيأتيك، ولو لم تقم في الصباح الباكر، أو في جمارة القيل، أو نحو ذلك؛ ماذا سيقول؟ سيقول كلا، لابد من فعل السبب، لابد من التعرض للمحاولة، والضرب في الأرض لكسب الرزق، فإذا قيل له: أليس الله قد قدر المقادير، لم يعتمد ذلك ولم يرد به في أموره الدنيوية، لو قيل له حين يقبل الشتاء: دع عنك لبس الملابس الثقيلة والاستدفاء بالنار، فإن كان الله قد قسم عليك مرضا، فسيأتيك ولو لبست جميع الثياب، وإن كان الله قد قضى لك بالصحة، فلن يأتيكم شيئا ولو كنت عريانا؛ لأبى، وقال لابد من فعل السبب الذي يدفع عني البرد، ولو قيل له دع عنك أمر النكاح، فإن كان الله قد قسم لك ذرية، فستأتيك ولو لم تتزوج؛ لضحك وسفه رأيك، وقال: كلا هذه نواميس، وقوانين قد رتب عليها الخلق، ونحن نقول له يا سبحان الله، كيف تعمل السببية في الأمور الدنيوية المعاشية، ولا تعملها في الأمور الدينية التي هي أخطر، وأبعد أثرًا، إذ أنها تتعلق بالسعادة الأبدية في الدار الآخرة، فبه يتبين أنه لا حجة لهم في ذلك، وأنهم يرون أن هذا باطل لا يحتج به في أمورهم الدنيوية.

ويقال أنه قد رفع لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سارق قد سرق، فأمر به أن تقطع يده، فقال السارق: مهلا يا أمير المؤمنين، فإني إنما سرقت بقدر الله، فقال له عمر: ونحن نقطعك بقدر الله. بل ونقول أيضًا وشرع الله.

فمثل هذه الحجج الواهية الداحضة لا تنطلي على أهل الإيمان، وإنما يرددها ويتفوه بها بعض البطالين الذين لا رغبت لهم في الاهتداء بهدى الله عز وجل.

فهذا معنى قول الشيخ رحمه الله:

(لا حجة لمن أضله الله عليه) يعني على الله **(ولا عذر له لديه)** ثم ذكر الآيات وفيها ما يدل على سبق تقدير الله تعالى، من ذلك قول الله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}، فهذا قد سبق في علم الله، وفي الحديث الصحيح: ((أن الله تعالى ينادي يوم القيامة يا آدم اخرج بعث النار من ذريتك، فيقول يا ربي وما بعث النار، فيقول من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعون)) هذا بعث النار، فشق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم، وقالوا: يا رسول الله أينا ذلك الواحد، فقال: ((إنكم في أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج)) فهذا دليلًا على سبق تقدير الله وعلمه بمن يطيعه ومن يعصيه.

يقول رحمه الله : (سبحانه، خلق الخلق بلا حاجة إليهم، فجعلهم فريقين: فريقاً للنعيم فضلاً، وفريقاً للجحيم عدلاً، وجعل منهم غوياً ورشيداً، وشقياً وسعيداً، وقريباً من رحمته وبعيداً، {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء:٢٣] وقال: {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف:٥٤]، وقال عز وجل: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأعراف:٢٩ – ٣٠]، وقال : {أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ} [الأعراف:٣٧]. قال ابن عباس: هو ما سبق لهم من السعادة والشقاوة).

(**يقول رحمه الله: فجعلهم فريقين: فريقاً للنعيم فضلاً، وفريقاً للجحيم عدلاً**) أن نعموا فبفضله أو عذبوا فبعدله، والفضل للديان.

(**وجعل منهم غوياً ورشيداً، وشقياً وسعيداً، وقريباً من رحمته وبعيداً، {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}**) وليس لك يا عبد الله إلا التسليم، وحسن الظن بالله تعالى، ورجائه والله تعالى عند حسن ظن عبده به، فليظن عبد ما شاء.

لا ريب أن التفكير في هذا الأمر يصيب المرء بالروعة والفزع، لكنه إذا علم أن الله تعالى حكم عدل مقسط، وأن رحمته سبقت غضبه؛ فإنه يطمئن أن الله تعالى لا ؟؟ عباده أو يجرهم إلى الوقوع في الشرك، أو نحو ذلك، وإنما العبد يأتي ذلك بمحض إرادته، وسبق إصراره، قال الله تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}، أما من أرى الله من نفسه خيرًا، واجتهد في طاعته، فالله سبحانه وتعالى يثيبه ويجزيه ويثبته، وفي الحديث الصحيح: ((من تقرب إليّ شبرًا تقربت منه زراعًا، ومن تقرب مني زراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة))، فليحسن العبد الظن بربه سبحانه وتعالى.

واستدل بقوله: **{أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}**، وبقوله: **{ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29) فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللَّهِ}**، وهذا نوع تعليل: **{وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}**، وقال: **{أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ}** يعني المكتوب، **قال ابن عباس: هو ما سبق لهم من السعادة والشقاوة.**

والذي ينبغي حينما يقرأ المؤمن هذه النصوص؛ أن يكون على وجل، وألا يأمن مكر الله؛ فيحمله ذلك على دوام مراقبته، وعدم الزهو والعجب، وألا يدل على الله بعمله، هذه ثمرة الإيمان بسبق علم الله عز وجل بمن يطيعه ومن يعصيه، وأنه قد هدى وأغوى، فذلك يوجب لقلب المؤمن، أن يكون محترسا متيقظا مترقبا دوما وأبدا، كان سفيان الثوري رحمه الله، إذا حدث بحديث القبضتين، كان يبكي رحمه الله ويقول: (ليت شعري، في أي القبضتين أنا).

(قال أبو عثمان: أخبرنا أبو محمد المخلدي قال: أخبرنا أبو محمد العباس السراج قال: حدثنا يوسف بن موسى قال: أنبأنا جرير عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: ((إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك بأربع كلمات، رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد، فو الذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، ثم يدركه ما سبق له في الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يدركه ما سبق له في الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)).

وأخبرنا أبو محمد المخلدي قال: أنبأنا أبو العباس السراج قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي – هو ابن راهويه – قال: أنبأنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال: حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة، وإنه لمكتوب في الكتاب أنه من أهل النار، فإذا كان عند موته تحول فعمل بعمل أهل النار فمات فدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه لمكتوب في الكتاب أنه من أهل الجنة، فإذا كان قبل موته عمل بعمل أهل الجنة فمات فدخل الجنة)).

الشاهد من هاتين الروايتين:

أولًا: ما فيهما من ذكر الكتابة الجنينية، وذلك أن تقدير الله تعالى نوعان: تقدير مجمل، وتقدير مفصل.

فأما التقدير المجمل العام الشامل لكل شيء: فهو الذي في اللوح المحفوظ، (إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال الله سبحانه: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}.

كما يفهم ذلك من الجمع بين هذه الآية {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}، وقوله: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}.

وأما التقدير اليومي: فيدل عليه قول الله تعالى{كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}، فهو سبحانه وتعالى يرفع القسط ويخفضه، يحي ويميت، يغني ويفقر، يصح ويمرض، إلى غير ذلك مما يقضيه سبحانه وتعالى، وهو الفعال لما يريد.

الشاهد الثاني: ما فيها من أن العبد يعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينها وبينه إلا زراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار ، والعكس، وقد جاء ذلك مفسرًا في الحديث الصحيح، أو في القصة التي وقعت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم، فقد ذكر الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ رجلًا أبلى بلاء حسنًا في العدو، وأثنوا عليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((هو من أهل النار)) فشق عليهم ذلك، فقال رجل من الصحابة: والله لأتبعنه فأنظر ماذا يفعل، فتبعه فأصابت الرجل جراحة فجزع منها، فأخذ بذبابة سيفه فجعلها بين سدييه، ثم اتكأ على قائم سيفه، حتى خرج من ظهره – أي أنه انتحر، وجأ نفسه بهذه الحديدة – فجاء مصدقًا للنبي صلى الله عليه وسلم، يشهد أنه رسول الله، لأنه تحول في أخر عمره، وفعل هذه الفعلة والعياذ بالله، التي جعلته من أهل النار.

ولا ريب أن مثل هذه القصة، ومثل هذا الحديث، يوجب للمؤمن الفزع، والقلق والتخوف، لكنه من جانب آخر، يحمله على سؤال الله الثبات وعدم الزيغ {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}، وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث شداد بن أوس مرفوعًا: ((إذا كتز الناس الذهب والفضة فاكتزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد،...)) إلى آخره، والشاهد سؤال الله الثبات {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}، فينبغي للمؤمن أن يكون متضعًا لله عز وجل، وأن يعلم أن ما ساقه الله له من الهدى والعلم والصلاح؛ فهو محض فضل الله عليه، لم ينله بذكائه، أو جهده، أو أنه ورثه كابر عن كابر، وإنما هو محض فضل الله تعالى عليه يشعر أو يقوم دائمًا بمقام المنة لله سبحانه وتعالى، وشهود فضله ومنته عليه، ويحذر أشد الحذر أن يدب إلى قلبه شيء من الزهو والعجب والإدلال بعمله على الله عز وجل، فإذا رأى أن الله تعالى ساق له خيرًا، أو أجرى على يديه خيرًا، فينبغي أن يقول هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر، وأن المسألة محض امتحان وابتلاء، وأن يتعاهد قلبه بذلك، فإن الإنسان إن غفل هجم عليه الشيطان وأورده المهالك، عافانا الله وإياكم.

وقد جاء في بعض ألفاظ هذا الحديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، فيما يبدوا للناس))، وذلك يدل على أنه كان منطويًا على آفة من النفاق، أو من شعب النفاق، وأهملها فانفجرت عليه في وقت لم يتمكن من دفعها والعياذ بالله، فعلى المرء أن يسأل الله عز وجل العافية، وأن يقيه من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ -حفظه الله .